

المستشرق هنري كوربان وقراءته الفلسفية للإسلام الشيعي في إيران

Orientalist Henry Corbin and his philosophical reading of Shi'ite Islam in Iran

نورالدين هالي*
فلسفة جامعة قسنطينة 2 عبد الحميد مهري-(الجزائر)

Noureddine Hali*

Hali.noureddine@yahoo.com

تاريخ النشر: 2023/05/05

تاريخ القبول: 2023/04/07

تاريخ الإرسال: 2022/06/19

ملخص: يعد المستشرق الفرنسي هنري كوربان (1903- 1978) من أبرز الباحثين الذين اهتموا بالدراسات الإسلامية الشيعية في إيران، وما ميّز جل أعماله منذ عام 1946 إلى عام 1978 قراءاته الفلسفية لأعمال العلماء الشيعة والمتصوفة الإيرانيين. في هذا المقال، سأعمل على عرض الآثار العرفانية والفلسفية لكوربان، انطلاقاً من مساره العلمي ورحلاته البحثية بين باريس وطهران، وسأحاول من خلال منهج تاريخي وتحليلي، الوقوف عند بعض المشاهد الفلسفية والروحية التي قدمها كوربان عن الإسلام الشيعي في إيران، وإبراز أهمية هذه القراءات الفلسفية، لنقل صورة إيران "الباطنية" إلى العالم الإسلامي والغربي، والتأكيد على أن المعرفة الفلسفية والخبرة الروحية لا ينفصلان بحسب فينومينوجيا كوربان.

الكلمات المفتاحية: هنري؛ إيران؛ فلسفة؛ إسلامية؛ الشيعة.

Abstract: Henry Corbin (1903-1978) orientalist French is one of the most prominent researchers who have been interested in Shi'ite Islamic studies in Iran. His works from 1946 to 1978 were most distinguished by his philosophical readings of the works of Shi'ite scholars and Iranian mystics. In this article, I will present the mystical and philosophical effects of Corbin, starting of his scientific path and his research trips between Paris and Tehran, and I will try, through a historical and analytical Method, to stand at some of the philosophical and spiritual scenes presented by Corbin on Shi'ite Islam in Iran, and highlight the importance of these philosophical readings for communicating Iran's "esoteric" essence to the Islamic and Western world, and to emphasize that philosophical knowledge and spiritual experience are inseparable according to Corbin's Phenomenology.

* المؤلف المرسل: Hali.noureddine@yahoo.com

Keywords: Henry; Iran; philosophical; Islamic; Shi'ite.

مقدمة:

نالت الدراسات الإيرانية، ولاسيما دراسة الإسلام الشيعي في إيران، اهتمام الكثير من العلماء والباحثين سواء أكانوا من مداخل إيران أم من خارجها، ويعد المستشرق الفرنسي هنري كوربان (1903- 1978) Henry Corbin من أبرز الباحثين الذين ساهموا خلال القرن العشرين في إثراء الدراسات الإيرانية، إذ قضى ما يقارب ثلاثين سنة من حياته في إيران، محققاً وباحثاً في الإيرانية، فشده الروحانية الإيرانية منذ زرادشت إلى الباحثين في الفلسفة والروحانية الإيرانية، وقد عاش كوربان بينهم، وأنجز عديد الأبحاث العرفانية والفلسفية، تناول فيها مجموعة من علماء الدين والفلاسفة الإيرانيين، انطلاقاً من تكوينه الفلسفي. إن مؤلفاته في العرفان والفلسفة الإسلاميين، تُظهر سعة اطلاعه على الحضارة الإيرانية بكل تفاصيلها، بعد أن أضحت إيران بالنسبة إليه بمثابة قطعة من الجنة.

على الرغم مما قدمه الكثير من المستشرقين، ظلت إيران قارة مفقودة بالنسبة إلى الغرب، لأن أولئك المستشرقين قدموا إيران والفكر الإيراني كما فهموه هم، لكن كوربان قدم إيران كما تظهر للإيراني، فقد كان إيرانيا في طرحه، لأنه تمثل المتصوف والمؤمن والفيلسوف والرجل الشرقي البسيط الذي يعيش الحياة اليومية في أرض إيران، فانعكس هذا التمثيل على الدراسات التي قدمها حول إيران وعلمائها ومتصوفاتها وفلاسفتها، وعن تاريخها الباطني، وإيمانها وأئمتها، وعن إسلامها. لقد كانت كتبه السبعة التي ضمنها في أربعة مجلدات، الموسومة بـ: عن الإسلام الإيراني: جوانب روحية وفلسفية، حصيلة شاملة لما توصل إليه في دراساته في الإسلام الإيراني، إضافة إلى أعمال أخرى ذات صلة.

إن المسعى الذي نرمي إليه في هذا البحث، هو تقصي مساهمات كوربان في تقديم قراءة فلسفية للإسلام الشيعي في إيران، وإبراز منهجه الفلسفي في هذه القراءة ومحاولة الوصول إلى النتائج المترتبة عن ذلك، سواء داخل إيران أم خارجها، ولذا سيتمحور هذا العمل حول المشكلة الآتية: إذا كان هنري كوربان رأى أن الإسلام الشيعي في إيران يحمل في باطنه خصوبة وثراء فلسفياً، فما الآلية التي اعتمدها لولوج هذا الباطن

لإخراجه في صورة فلسفية وتقديمه للتجربة الروحية الدينية على ضوء فهم عقلائي قادر على التبرير الفلسفي؟

للإجابة عن التساؤل المطروح من خلال مشكلة البحث سننطلق من الفرضيات الآتية:
- أن التكوين الفلسفي الذي تلقاه كوربان في باريس على يد كبار الفلاسفة ومؤرخي الفلسفة، قد ساهم في بناء التصور الذي قدمه حول العمق الفلسفي للإسلام الشيعي في إيران.

- قراءة كوربان الفلسفية للإسلام الشيعي في إيران تنطلق من أن الإرث الفكري لبلاد فارس مما أثر بعناصر الفلسفية على التشيع الإسلامي، وبالتالي اكتسب بعده الفلسفي من الفكر الفارسي القديم، إضافة إلى تأثره بفلسفات الحضارات المجاورة،

- أن كوربان استند على الروحانية الإيرانية التي ساهمت من خلال المتصوفة والعرفانيين في تقديم فهم باطني للنص المقدس، وأصبح النص الديني لا يؤدي وظيفته دون تأويل، وهنا تبرز أهمية النظر الفلسفي في الحقائق الدينية التي يتضمنها الإسلام الشيعي في إيران.

لمعالجة هذا الموضوع والتحقق من الفرضيات اعتمدنا على المنهج التاريخي لتتبع المسار العلمي لهنري كوربان وكذا تتبع رحلاته البحثية كما اعتمدنا على المنهج التحليلي من أجل تحليل أفكار كوربان لاسيما المتعلقة منها بتفسير ظاهرة الإمامة والولاية والنبوة في الفكر الشيعي، ثم اعتمدنا المنهج الاستقصائي للوصول إلى النتائج المرجوة من هذا البحث.

وللإجابة عن التساؤل الذي المطروح قسمنا بحثنا إلى عنصرين أساسيين العنصر الأول هو: سيرة موجزة عن مسار هنري كوربان في الفلسفة والاستشراق، وينقسم هذا العنصر إلى فرعين: الفرع الأول يتناول مسار هنري كوربان في التكوين الفلسفي والدراسات الإسلامية، والفرع الثاني يتناول توجه كوربان نحو إيران ودراسة الإسلام الشيعي. والعنصر الثاني حول فينومينولوجيا كوربان والتأسيس الفلسفي للإسلام الشيعي في إيران، الذي ينقسم بدوره أيضا إلى فرعين: الفرع الأول، هو التاريخ المقدس وتأويل الإسلام الشيعي والفرع الثاني حول التجليات الفلسفية للإسلام الشيعي في إيران عند هنري كوربان.

1. هنري كوربان على مسار الفلسفة والاستشراق

ولد هنري كوربان Henry Corbine بباريس (فرنسا) يوم 14 أبريل 1903 ، للأبوين هنري آرثر كوربان Arthur Corbin Henri ويوجيني فورنييه Eugenie Fournier ، توفيت أمه بعد ستة أيام من ولادته، ولا شك أن فقدانه لوالدته، ترك أثرا في حياته الخاصة، كما عاش في طفولته هشاشة صحية، (Cheetham, 2003, p. IX) لكن المقام هنا يحول دون تناول هذه الجوانب. وبعيدا عن تفاصيل حياته الأسرية، فإن هنري كوربان تلقى في البداية تعليما دينيا، ليلتحق في مرحلة لاحقة بالتعليم الفلسفي واللاهوتي، إلى أن أصبح باحثا متميزا في الإسلاميات عموما، وفي الدراسات الإيرانية والإسلام الشيعي في إيران على وجه الخصوص.

1.1 مسار هنري كوربان في التكوين الفلسفي والدراسات الإسلامية

التحق كوربان بمدرسة الدير في سانت مور، ثم حصل على شهادة في الفلسفة المدرسية من المعهد الكاثوليكي بباريس في عام 1922. وفي عام 1925 حصل على "شهادة في الفلسفة" تحت إشراف إتيان جيلسون (1884 - 1978) Étienne Gilson ، من المدرسة التطبيقية للدراسات العليا في باريس، عن أطروحة بعنوان "ابن سينا اللاتيني في العصور الوسطى"، فكان هذا أول اتصال له بالفلسفة الإسلامية، التي رافقته طوال حياته. في عام 1928، التقى كوربان مع لويس ماسينيون - (1883 Louis Massignon) (1962)، مدير الدراسات الإسلامية في مدرسة الدراسات العليا (Cheetham, 2003, p. IX) كان ماسينيون أول من لفت انتباه كوربان إلى كتابات شهاب الدين يحيى السهروردي، الفيلسوف الإيراني (539 / 1155 م - هـ 1191632 / م)، حين أحضر نسخة مطبوعة من كتابه، حكمة الإشراق، منذ ذلك الحين كان لأعمال السهروردي أثر على مجرى حياته، (Cheetham, 2003, p. X) وبذلك يكون لويس ماسينيون حدد توجه كوربان في أبحاثه (Eliade, 1979, pp. 293-295).

أتقن كوربان اللغات اليونانية واللاتينية والعربية والفارسية في سن مبكرة، وتخصص في دراسة الفلسفة الغربية والعربية في العصور الوسطى، (Eliade, 1979) نشر ترجمات للسهروردي في سنوات 1933 و 1935 و 1939. وأثرت فيه قراءته لكتاب الكينونة والزمان لـ: مارتن هيدغر (1889م-1976م Martin Heidegger)، سنة 1930 كانت هي اللحظة الحاسمة في كفاحه لفهم معنى الـهيرمينوطيقا كعلم للتفسير، التقى

بهيدغر لأول مرة في فرايبورغ سنة 1931. ومرة أخرى سنة 1936 حين سافر كوربان لتقديم أول ترجمة فرنسية لعمل هيدجر، الذي نشر سنة 1939 باسم ما الميتافيزيقا *Qu'est ce que la métaphysique?* (Cheetham, 2003, p. X). يقول كوربان: « لقد كانت لي لحظات لا تنسى مع هايدغر بفريبورغ في أبريل 1934 ويوليو 1936) «نيمو، 2008، الصفحات 99 - 112)، كما لا تفوتنا الإشارة إلى أن هنري كوربان تزوج عام 1933 من المرأة التي رافقته مدى الحياة، ستيليا لينهاردت **Leenhardt Stella**. (Cheetham, 2003, p. XII)

سافر كوربان سنة 1939 إلى اسطنبول للإقامة مدة ست أشهر بغرض جمع المخطوطات لكن اندلاع الحرب العالمية أجبره على المكوث هناك، فعمل كوربان كعضو في المعهد الفرنسي للآثار بأسطنبول حتى نهاية الحرب، وعندما وصل بديل عنه في سبتمبر 1945، غادر كوربان اسطنبول متوجهاً إلى طهران ووصل في 14 سبتمبر إلى بلد "لون الجنة" على حد وصفه (Cheetham, 2003, p. XIII).

في عام 1949 حضر لأول مرة مؤتمرات إيرانوس **Eranos** في أسكونا، بسويسرا، إيرانوس: هي مجموعة مناقشة فكرية مختصة بدراسة علم النفس والدين والفلسفة والروحانية، التي تلقى سنوياً في منذ عام 1933، واسم المجموعة مشتق من الكلمة اليونانية القديمة "ἐρανός" *éranos* التي تعني وليمة. في عام 1954 خلف كوربان أستاذه لويس ماسينيون في كرسي الإسلام وأديان العرب بباريس، ومن خمسينيات القرن الماضي، كان أمضى الخريف في طهران، والشتاء في باريس، والربيع في إعداد بحثه لتقديمها في مؤتمر إيرانوس في أسكونا. وهكذا قضى حياته في التدريس والكتابة والمحاضرات وتحرير النسخ النقدية للمخطوطات الفارسية والعربية، بلغت أعماله المنشورة أكثر من مائتي طبعة نقدية وترجمات وكتب ومقالات، وقدم ورقته الأخيرة قبل وفاته في يونيو 1978، موسومة بـ: عيون اللحم، عيون النار: علم الغنوص، وكانت وفاته في السابع من أكتوبر من ذلك العام (Cheetham, 2003, p. XIII).

من بين الأعمال التي أنجزها كوربان نذكر: كتاب ابن سينا والقصة الشهودية *Avicenne et le récit visionnaire*، وكتاب الخيال الخلاق في تصوف ابن عربي، وكتاب الجسد الروحاني والأرض السماوية: من إيران المزدكية إلى إيران الشيعية، وكتاب إنسان النور في الصوفية الإيرانية، وكتاب الثلاثية الإسماعيلية، إيران والفلسفة،

وكتاب تاريخ الفلسفة الإسلامية: من الأصول إلى وفاة ابن رشد، أما أعظم أعماله، فهي المجلدات الأربعة الموسومة بـ: في الإسلام الإيراني جوانب روحانية وفلسفية، التي نشرها بين سنوات 1971 و1973. إضافة إلى ترجماته للمسارات الصوفية للسهروردي.

2.1 مسار هنري كوربان نحو إيران ودراسة الإسلام الشيعي

وصف كوربان الطريق إلى إيران في أول رحلة له في 14 سبتمبر من عام 1945 حيث كتب رسالة قصيرة مؤرخة في 21 من ذات الشهر مخاطباً صديقه لويس ماسينيون يخبره بوصوله إلى إيران منذ أسبوع تقريباً، وصف في رسالته رحلته الطويلة والمرهقة، والصعوبات التي واجهته وعبر عن الأهمية الكبيرة لمسار السكة الحديدية على طول الحدود في جنوب الأناضول، كما عبر له عن أسفه لعدم تمكنه من النزول في حلب ليلقي التحية على قبر شيوخه السهروردي هناك، كما يصفه، (Jambet, 1981, p. 334).

كما راسل هنري كوربان من طهران في 07 أبريل عام 1946، إلى صديقه عالم اللغويات الفرنسي إميل بنفينيست (1902 – 1976) Émile Benveniste حدثه عن مهمته في إيران بإشراف مديرية العلاقات الثقافية. وأخبره عن اكتشافه العديد من الفلاسفة غير المعروفين تماماً للمؤرخ الألماني كارل بروكلمان Carl Brockelmann (1868 - 1956). كما عبر لصديقه بأنه سيبدل ما بوسعه لمعرفة المذهب الشيعي الإيراني، ويرى أن المهمة الأولى له هي جمع الصيد المعرفي، وسيكون من الضروري قراءتها قراءة فلسفية، مؤكداً على أن نجاح هذا المشروع لن يتم إلا بالتعاون بين المستشرقين الأوروبيين والعلماء الإيرانيين (Jambet, 1981, pp. 312-313).

اندمج كوربان في العالم الإيراني، ووجد نبضاً جديداً في حياته، وهناك درس في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طهران، وعمل في مكتبة المعهد الإيراني الفرنسي، التي كانت من أفضل المكتبات الفلسفية في طهران). نصر، 1977، صفحة بنج). كما درب كوربان عدداً كبيراً من الطلاب في مجال الفلسفة الإسلامية والتصوف وترك تأثيراً مستمراً في جميع مجالات البحث في مجال الفلسفة الإسلامية والتصوف والدراسات الإسلامية). نصر، 1977، صفحة هدفه. (في هذا الصدد يرى المفكر الإيراني رامين جاهانبيقلو أن كوربان بذل جهداً جباراً، خلال مساره في العالم الإيراني وقدم أعمالاً متفردة، ليس لأنه اكتشف أقساماً كاملة من قارة روحية، لم يكن الكثيرون يعرفون وجودها فقط، ولكن لأنه من خلال نبشها قام بتحديثها، وبالتالي جعلها في متناول

الجماهير الغربية. وأصبح بفضل السهروردي وروزبهان شيرازي (522 - / 1128 - 606 هـ/ 1209 م) وملاً صدرا (حوالي 980 هـ/ 1050-1571 هـ/ 1635 م) أسماء مألوفة لدى المثقفين في الغرب (Jahanbegloo, 1992, p. 146).

سار هنري كوربان، بين المستشرقين، وبين أقدار ابن سينا اللاتيني ومصير ابن سينا الإيراني، أسس "بيته في الكون الروحي الإيراني" (Gagnon, 1992, pp. 139 - 141). "كان كوربان يتقن اللغة الفارسية جيداً، وقد نقل جاهانبيقلو عبارة وردت عن كوربان يقول فيها: " كانت إيران تمثل القارة المفقودة "بالنسبة للفكر الغربي الحديث، وبصفتي فيلسوفاً شاباً، كنت أبحث منذ فترة طويلة عن مفتاح هذا العالم، باعتباره العالم الحقيقي، وهو العالم الملموس وليس العالم المجرد (Jahanbegloo, 1992, p. 148). "لقد اعتبر هنري كوربن نفسه بين الإيرانيين رجل الغرب الأفضل فهما لإيران، إيران العميقة، روح إيران. (Jambet, 1981, p. 283)

لقد قادت أبحاث كوربان في الفكر الإيراني إلى انتقاد الكنيسة، ووصفها بأنها الشيطان الأكبر واستمر هذا الموقف حتى وفاته، ويبدو أن الإسلام كان كوسيلة لهروبه من الكنيسة - على سبيل المثال عندما ادعى أن "ظاهرة الكنيسة غير موجودة في الإسلام وكذلك، قال في عام 1959، أن الإسلام الشيعي يطرح بامتياز المشكلة اللاهوتية لتاريخ أديان ما بعد-المسيحية post-Christian، إذا ما قورن باللاهوت المسيحي. (Wasserstrom, 1999, p. 148)

2. فينومينولوجيا كوربان والتأسيس الفلسفي للإسلام الشيعي في إيران

إن المتأمل في دراسات هنري كوربان عن الإسلام الشيعي في إيران، سيقف عند المنهج الذي اعتمده، وهو المنهج الفينومينولوجي الذي ابتكره الفيلسوف الألماني إدموند هسرل (1859 – 1938) *Edmund Husserl*، فكوربان يشير إلى استخدام كلمة فينومينولوجي *Phenomenologie* على أنها «إنقاذ الظواهر» وهو الالتقاء بها حيثما تكون أو حيث ما يكون مكانها. هذه الكلمة حسب كوربان تبدو من أصعب الكلمات إذا أردنا ترجمتها إلى العربية أو الفارسية بواسطته المعاجم، لكنه يرى أن أفضل ترجمة لها، ما تدل عليه العبارة العربية: كشف المحجوب، وتعني «إزاحة النقاب، أو كشف النقاب عما هو مخبأ»، وهذا ما يطابق تمام المطابقة ما يسمى «فينومينولوجي». وبهذا المعنى تبرز العلاقة بين الظاهر والباطن، المرئي والمستتر، ارتباطاً بالظاهراتي

Phenomenologie، لأن هذه الظاهرية ما في النهاية إلا التأويل Herméneutique الذي يمارسه المفكرون الإيرانيون، والتي تعني عمليا «إعادة شيء إلى مصدره». «كوربان ، 1993، صفحة 15)

هذا المنهج قاد كوربان إلى تقديم قراءة شاملة للإسلام الشيعي في إيران، حيث يتعدد ويتألف فيها الديني والفلسفي والتاريخي والجغرافي والنفسي والاجتماعي، لكن الجانب الأكثر إثارة وبروزا، هو تألف التاريخي والديني والفلسفي، وفي هذا الصدد يمكن الإشارة إلى النتيجة التي وصل إليها المفكر الإيراني داريوش شيغان، بعد دراسته في أعمال كوربان، وهي اكتشاف ما أسماه في كتابه: المسارات الأربعة لكوربين في العالم الإيراني -الإسلامي *les quatre itinéraires de Corbin dans le monde irano-islamique* ، "أربعة مسارات تشكل إشعاعات متشابهة والمتزامنة تشكل البنية الأساسية نفسها، (...) وهذه هي: المسارات: الأسلوب النبوي، والأسلوب الأنطولوجي، والأسلوب السردية، والصيغة الإيروتيكية الصوفية؛ إنها أربع رحلات روحية من خلال الإيمان والفكر والخيال l'imagination والحب (Jahanbegloo, 1992, p. 148). "وعليه يمكن تقديم قراءة كوربان الفلسفية في الإسلام الشيعي في إيران انطلاقا من التاريخ القدساني وتأويل النص الديني وهي لا تخرج عن إطار المسارات الروحية الأربعة التي كشف عنها داريوش شيغان في بنية قراءات كوربان.

1.2 التاريخ المقدس وتأويل الإسلام الشيعي عند هنري كوربان

عمل كوربان على شرح مفهوم التاريخ القدساني وبين دوره في مجال دراسته، فالتاريخ القدساني يختص بالتمثيلات المنظمة في فكرة دور الولاية والنبوة، فثمة علاقة بين علم العرفان القدساني والتاريخ القدساني، لأن الوقائع المدركة هنا لها حقيقة الحوادث، ليست الحوادث العينية للعالم وللأشخاص الطبيعيين في كتب التاريخ، ولكنها وقائع روحية بالمعنى الدقيق للكلمة، وتكتمل في ما وراء التاريخ). كوربان هـ، 2004، الصفحات 127-128 (هكذا تكون فكرة التاريخ القدساني القائم على التأويل الفينومينولوجي أساسا ومنهجيا في تفسير كوربان للإسلام الإيراني والفكر الإيراني عموما. إن هذا التاريخ جدير بأن يكون منهجا في مثل هذه الدراسات، التاريخ القدساني-hiero-histoire أو ما وراء التاريخ meta-histoire ، هذا النوع من التاريخ لا يمكن أن يمارسه إلا الظواهراتي التأويلي، لأنه حين يقوم بالحضور بنفسه، سيقوم بعملية إظهار ما هو

محجوب تحت الظاهر. وفي هذا الجانب أيضا يجد كوربان نفسه مدينا لهيدغر، لأنه أظهر الأصول الانطولوجية للتاريخ، وهو تاريخ أكثر أصالة من التاريخ العام، وفي هذا يقول كوربان: « ابتكرت كلمت تاريخ أصلي hitorialité وأعتقد أن علينا الاحتفاظ بهذا المصطلح، فالعلاقة بين التاريخية الأصلية l'hitorialité والتاريخية l'historicité ، هي العلاقة نفسها الموجودة بين الوجود الأصلي l'existentiel والوجودي (...) l'existentiel فإذا كان ثمة معنى للتاريخ ووجهة للتاريخ، فهو لا يوجد في كل حال في تاريخية الوقائع التاريخية، إنه موجود في تلك التاريخية الأصلية، وفي تلك الجذور الوجودية الأصلية الخفية والباطنية للتاريخ والتاريخاني». «نيمو، 2008، الصفحات 99 - 112 (هكذا كان التاريخ المقدس أو التاريخ القدساني hieo-histoire ، يستهدف الباطن المخفي تحت الظاهر الحرفي، وظاهر قصص الكتاب المقدس.

يؤكد كوربان أيضا على قداسة المكان والزمان حين يستحضر النصوص القديمة، التي تخبرنا عن بلاد فارس وطن الآريين، أرض النبلاء، حيث يشير المصطلح الفهلوي Pehlevi آريان فيج (Eran-Vej) إلى موطن وأصل الإيرانيين الآريين، أين تعطي الجغرافيا الثقافية والصورة للأحداث المادية معناها، وهي المنطقة التي تم تمثيلها في صياغة لاحقة للفلسفة الإيرانية، على أنها الأرض السماوية (Corbin, 1994, pp. 39-40). كما يرى كوربان أنه من خلال الكتاب المقدس للزرادشتية الأвестا Avesta يتم الكشف عن الأرض كـ "ملاك"، فحقيقة أن تصور الأرض كملاك يمكن تصنيفها على أنها خيالية وغير واقعية، تشير وتدل على أن هذه الطريقة لإدراك الأرض والتأمل فيها، مرتبطة ببنية روحية نفسية، إنها "ترمز" إلى الصورة ذاتها التي تحملها الروح في أعماقها، أعماق ستُظهر ملاك الأرض في كون وسيط، لا يمثل جوهر الفلسفة ولا المدركات الحسية، ولكنه عالم من الصور النمذجية، إنه عالم المثال (Corbin, 1977, pp. 03 - 04).

بعد التأويل القدسي للزمان والمكان، تأخذ كل من النبوة والولاية حيزا واسعا في تأويل الظاهرة الدينية الشيعية حسب كوربان، فهو يعود إلى ماضي إيران قبل الإسلام، وبالتحديد إلى شخصية نبي الفرس زرادشت Zoroastre ، الذي يُرجَّح أنه عاش ما بين 660 ق م و 583 ق م، حيث يعتبره أقدم اسم ظهر في الأفق الإيراني الديني، فهو رسول وحي إلهي إلى البشر، هكذا جرى فهمه تقليدياً من قبل مجتمعه، وكذلك من قبل أصحاب مذهب الاشراقيين المسلمين، من أمثال السهرودي وأتباعه، فمنذ البداية كان

الفكر الديني الإيراني بصفة أساسية، منقاداً إلى التنبؤ الأخروي، الذي يحل إشكالية المأساة الكونية. الناتجة عن اجتياح قوى الشر الأهريمانية *Ahrimaniemes*، وكان من الجدير صياغتها باسم: «فلسفة البعث، النشور». كوربان، 1993، صفحة 31 (وهنا يبرز الامتداد الروحي بين ديانة فارس القديمة وفلسفتها والإسلام الشيعي في إيران. يشير كوربان إلى اللفظة الفارسية *dusti* التي يقصد بها الولاية وهي نوع من المحبة أو الصداقة الإلهية، كهبة لندية سابقة للأبدية، لشخص الأئمة الاثني عشر، وتضفي عليهم القداسة كأولياء الله، وتتكشف الولاية كميزة للحالة الروحانية في إرشاد رباني للنبوة تكون أشمل من النبوة المشار إليها اصطلاحياً كنبوة تشريعية محددة بفترة ما، في حين أن الولاية تكون أبدية). كوربان، 1993، الصفحات 228 - 229 (لكن هذا التصور للإمامة، يتضمن الفكر العميق الذي يحيط بتمثيل الإمام الثاني عشر، أي ضرورة غيبته عن العالم، فهو وحده يغطي كل الفترة الفاصلة بين ختام النبوة واليوم الآخر، إنه موجود ويستمر وجوده، لا يخضع للقوانين العامة للبيولوجيا والزمان (Corbin, 1991, p. 106).

تقوم الإمامة أيضاً، على المفهوم نفسه للنبوة الأبدية، من خلال مفهوم الوريث الروحي، على هذه الأرض، وهو الإمام، بهذا المعنى يكون الأئمة أنفسهم أولئك الذين تصعد سلسلة نسبهم الأرضية إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) بواسطة مجمع النورين، فاطمة الزهراء (عليها السلام): نور النبوة ونور الولاية). كوربان، 1993، صفحة 229 (يمكن أن نلاحظ خطاً متصلاً في النصف الأخير من حياة كوربان في جميع دراساته المنشورة حول الفكر الإسلامي يستدل فيها على أنها تدخل ضمن إطار فلسفة الدين من جهة، وتتقاطع مع الميتافيزيقيا والروحانية من جهة أخرى. وهو مجال روحي يكون بالضرورة مجالاً عملياً ومفاهيمياً وفكرياً ودينياً وفلسفياً وشخصياً بشكل عميق، ولكنه في نهاية المطاف، سيكون سياسياً تماماً (Morris, 2005, p. 32).

2.2 التجليات الفلسفية للإسلام الشيعي في إيران عند هنري كوربان

قدم الشيخ الطباطبائي مفهومه للبحث الفلسفي القائم على استمداد مجموعة من القضايا البديهية أو النظرية -منبثقة بدورها من البديهيات- التي تولّد أفكارا لا يسع الإدراك الإنساني أن يشكّ بها، لكونها تنصرف، بالاعتماد على المنطق الفطري، للبحث في كليات عالم الوجود، لتستخلص بذلك الرؤية في مبدأ خلق العالم، وكيفية الخلق وبيدته ومآله (أي المبدأ والمعاد). (مؤكدًا على أن وهذا المعنى للبحث الفلسفي أمثلته وفيرة في الكتاب والسنة، فالكثير من الآيات القرآنية تبحث في أصول المعارف، تارة بمجرد الإخبار الإلهي وبيان كلام الله فيها، وتارة أخرى باستخدام طريق الاستدلال العقلي والاحتجاج البرهاني. وهذا الأخير يعبر عن المنهج الفلسفي). الطباطبائي، 1416 هـ، صفحة 98)

إن الروح الفلسفية الراهنة في إيران، وفق المفهوم الذي ذكره الشيخ الطباطبائي، تعد في نظر كوربان خاصية مميزة، عادة ما توصف بالعبقريّة الإيرانية، أو مهنة الروح الإيرانية، إنها أهلية قادرة بشكل بارز على بناء نظام فلسفي للعالم، حيث يكون فيه التأمل الفلسفي مثمرًا. ودونه يكون التفكير ليس أكثر من لعبة عقيمة للعقل. ويتأسف كوربان كون هذه الفلسفة، الإيرانية، الإيرانية-الإسلامية، كانت غائبة ولازالت حتى في أيامه عن تاريخ الغرب الفلسفي). كوربان ، 1993، صفحة 06)

في واحدة من محاضراته الموسومة بـ: قوة الفلسفة التقليدية في إيران حاليا، ألقاها محاضرة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طهران يوم 13 نوفمبر سنة 1967 ونشرت في السنة الموالية، في مجلة الدراسات الدينية المقارنة، عبّر كوربان عن اهتمامه بشكل خاص بالنهضة الإيرانية، التي تهتم الفلسفة والفيلسوف بشكل خاص ومباشر، موجها كلامه إلى الفلاسفة الإيرانيين الشباب، معتبرا رأيه بمثابة شهادة فيلسوف غربي، حول أهمية الفلسفة التقليدية في إيران، وهي في نظره فلسفة ليست متجانسة، ولكنها شديدة التنوع، داعيا إلى تشجيع الفلاسفة الإيرانيين الشباب، ليظلوا مدركين أن بحثهم في موضوعات الفلسفة الغربية اليوم يمكن أن يؤتي ثماره فقط إذا كانوا قادرين على إجراء فحص مقارن باستخدام الفلسفة التقليدية الإيرانية، المتجذرة فيها ثقافتهم (Corbin, 1968, pp. 12-26).

أثار كوربان مع العلماء الإيرانيين إشكالات فلسفية عميقة حول الفكر الإيراني، ولاسيما الجانب الديني منه وهذا ما تبرزه مجموعة من التساؤلات التي وردت في حوار مع الطبطباني، من أجل إنجاز تحقيق كامل حول الفلسفة في هذا العصر نذكر منها:

ماذا يعني الإدراك المعنوي والباطني للقرآن على ضوء الحقيقة الداخلية للمؤمن الشيعي؟ وكيف يستلزم مثل هذا الإدراك المعنوي والباطني للقرآن معرفة الإمام من جهة تصور شخصيته ومن جهة الظهور المعنوي له؟. كما طرح إشكالية هامة شغلته بعد أن تبين له أنه من غير الممكن أن يتم التوفر على بيان رؤية الشيعة في قضايا: معرفة العالم (الرؤية الكونية للوجود)، النبوة، والإمامة، دون أن تؤخذ بنظر الاعتبار كتب الإسماعيلية (من قبيل مؤلفات حميد الدين كرمانى، وأبي يعقوب السجستاني وغيرهما). كما انتقد كوربان مؤرخي الفلسفة الغربية في أوروبا، الذين اعتقدوا بأن الفلسفة الإسلامية انتهت مع ابن رشد وختمت به، ولم يهتموا بسير الحكمة ومسار الفلسفة في إيران خلال الفترة ما بين ظهور الخواجة نصير الدين الطوسي والعهد الصفوي، وأغفلوا الآثار التي تركها الميرداماد والملا صدرا ونظائرها). الطبطباني، 1416 هـ، صفحة 114)

أكد كوربان على الصلة الوثيقة بين فلسفة إيران القديمة وفلسفة الإشراق التي برزت مع المتصوفة الإشراقيين بدءاً بشهاب الدين السهروردي، معتبراً أن الإشراق هو انبثاق لفلسفة الأنوار التي ميزت فارس القديمة والتي أصبحت السمات الروحية الكبرى لإيران الإسلامية). كوربان ، 1993، صفحة 30 (ويعد النص السماوي حسب كوربان النموذج الأولي الذي حاول الصوفيون إعادة إحيائه، وبهذا المعنى، يوضح هذا الموضوع شيئاً مميزاً للروحانية الإسلامية وهو أنه مهما كانت الصراعات التي قد تكون موجودة بين الدين النبوي والتصوف، فإن الأول يمهد الطريق إلى الثاني الذي يؤدي بعد ذلك إلى إتمام الدين النبوي (Corbin, 1998, p. 135).

إن الفلسفة في إيران حسب كوربان تقدم نفسها في شكل رحلة، تماماً كالتجربة التي عاشها النبي صلى الله عليه وسلم، فهي النموذج الذي يجبر كل متصوف إسلامي على السعي لاسترجاعها، فإذا كان مقدراً للبحث الفلسفي أن يبلغ ذروته في التجربة الصوفية، فإن دعوة الفيلسوف هي إعداد لتلك التجربة الروحية. ومن هؤلاء الأفلاطونيين الفرس شهاب الدين يحيى السهروردي، كما تبرز شهادة على هذا الإحساس بالرحلة أيضاً في مؤلفات الأفلاطوني الفارسي في القرن السابع عشر، وهو الملا صدرا

شيرازي، أحد أعظم الأسماء في الفلسفة الإيرانية، الذي ظل المفكر المرشد في الروحانيات الإيرانية لجيل بعد جيل (Corbin, 1998, p. 142).

لقد عمل السهروردي حسب كوربان على تنفيذ فكرته العظيمة وهي: إنشاء ثقافة روحية شاملة تضم المعرفة الفلسفية بأكملها، وفي الوقت نفسه، يمكن ربطها بالإدراك الروحي المتكامل للفرد، وفق مسار الإشراق الذي لا ينحرف يمينا أو يسارا عن الحكمة المشرقية، التي انبعث من بلاد فارس القديمة. (Corbin, 1991, p. 335)

لقد أشار كوربان إلى مخطوطات فلسفية في مجملها حول الفكر الإيراني، لفلاسفة أفلاطونيين في بلاد فارس لم تحقق بعد، ومن أبرزهم شمس الدين الشهرزوري (1181م - بعد عام 687 هـ / 1288م)، الذي كرس كتابا كاملا لسير الفلاسفة قبل الإسلام، وكذا لمن ظهوروا في الإسلام، ومن بين أهم أعماله المعروفة تعليقان شاملان على أعمال السهروردي: التلويحات العرشية، وحكمة الإشراق. كما يعد قطب الدين الشيرازي المولود في شيراز سنة 634 هـ / 1237م، من أبرز شراح حكمة الإشراق للسهروردي، وتطرق إلى فلاسفة متصوفين آخرين من أمثال نصر الدين الطوسي (1201 - 1274م)، وصدر الدين القنيوي (1209م - 672 هـ / 1274م) (Corbin, 1978, pp. 346 - 349). كما أبرز كوربان أيضا البعد الفلسفي في أعمال الفيلسوف حيدر أمولي (1319-1385م) الذي أولى اهتماما بالمعرفة الباطنة والمعرفة الظاهرة فالعلوم الظاهرة هي العقل والنقل، أما العلوم الباطنية هي الكشف والعرفان والإدراك الحدسي والبصيرة والإلهام. وبهذا لم يعد تصنيف المعرفة إما الفلسفة أو اللاهوت، بل هو: علم القلب أو الحكمة الإلهية، الثيوصوفيا، وهي في النهاية "علم توارثي" متحدر من الوحي الإلهي (Corbin, 1968, pp. 12 - 26).

الخاتمة:

في نهاية هذا البحث سنلخص أهم النتائج التي توصلنا إليها، ونتأكد من مدى تحقق الفرضيات التي انطلقنا منها، بعد الوقوف عند الآليات التي تعامل بها كوربان مع الإرث الحضاري للفكر الإيراني، والنظر في مدى مطابقة الصورة التي قدمها عن الإسلام الشيعي في إيران كما يراها الإيرانيون، من خلال قراءاته الفلسفية.

لقد أظهر كوربان تميزاً في مسيرته وفي بحثه، واتخذ مساراً لم يسلكه أحداً قبله، فطبق في دراسة الاستشراقية منهجاً يختلف عن باقي المناهج المعهودة، وجعل من الفينومينولوجيا أداة لفهم وتفسير الظاهرة الدينية في إيران. لقد استهواه الرمز الصوفي، ودأب على دراسة الفكر الإيراني، فوجده تاريخاً باطنياً قائماً على رموز مقدسة، أفضى إلى ولادة جديدة ومميزة في مجال التأويلات، وبفضل التأويل أعاد تجديد الفكر الإيراني، فظهرت الأفكار القديمة في ثوب جديد.

إن الخصوبة الفلسفية التي ميّزت الإسلام الشيعي في إيران بحسب كوربان، نابعة من عمق الروح الإيرانية، وقد مكّنه تكوينه الفلسفي من اعتماد المناهج الفلسفية الغربية لولوج هذا الباطن لإظهاره في صورة فلسفية وتحويله للتجربة الروحية الدينية إلى حقائق فلسفية وفق فهم عقلاني للظاهرة الدينية الشيعية، وحين اعتمد فينومينوجيا هسرل ووجودية هيدغر وصل إلى ما يمكن أن يصل إليه الفلاسفة المتصوفة الإيرانيين.

وعليه تتأكد فرضيات هذا البحث إلى حد كبير، فأهمية التكوين الفلسفي الذي تلقاه كوربان في باريس على يد كبار الفلاسفة ومؤرخي الفلسفة ساهم في بناء التصور الذي قدمه حول العمق الفلسفي للإسلام الشيعي في إيران، كما أن قراءة كوربان الفلسفية للإسلام الشيعي في إيران تنطلق من أن الإرث الفكري لبلاد فارس والروحانية الإيرانية هي التي ساهمت من خلال المتصوفة والعرفانيين، في تقديم فهم باطني للنص المقدس، وأصبح النص الديني لا يؤدي وظيفته دون تأويل، وهنا تبرز أهمية النظر الفلسفي في الحقائق الدينية التي يتضمنها الإسلام الشيعي في إيران.

لقد أظهر كوربان أهمية القراءة الفلسفية لفهم الإسلام الشيعي في إيران، وكشف عن عظمة السهوردي وأتباعه، وأثبت حيوية الفكر الديني الإيراني في القرون الأربعة الماضية. وأظهر قدرته على تفسير المعنى الباطني الخفي للنصوص الدينية الإسلامية.

لقد تماهى كوربان مع الفكر الشيعي في إيران، حتى أنه لم يعد يُقرّ بوجود فلسفة في العالم الإسلامي غير الفلسفة الإيرانية، وإن صادفته أفكاراً فلسفية في بعض أعمال فلاسفة الإسلام، نجده يردّها إلى تأثير فارسي. وعلى الرغم من الإعجاب المفرط بالعالم الإيراني، والذي يستحق الإعجاب بالفعل، خصوصاً بالنسبة إلى كل من له ميل روحاني، فإن الدراسات التي قدمها هنري كوربان في ما يعرف بعلم الإيرانيات، بحاجة إلى دراسة وأن يكون لها نصيب من الأبحاث لاسيما في العالم العربي.

المصادر والمراجع:

1. هنري كوربان. (2004). *تاريخ الفلسفة الإسلامية: منذ النبأين حتى وفاة ابن رشد*. بيروت: عوידات للنشر والطباعة.
2. هنري كوربان. (1993). *(في الإسلام الإيراني: جوانب روحية وفلسفية: الشيعة الاثني عشرية*. القاهرة: مكتبة مدبولي.
3. سيد حسين نصر. (1977). *(شجن نامه هنري كرين / زندگي وآثار و افكار أستاذ هنري كرين*. تهران: مؤسسة مطالعات اسلامي دانشگاه مك گيل.
4. فليب نمو. (2008). *هنري كوربان: من هايدغر إلى السهروردي*. فريد الزاهي، المترجمون (نوى) (53)، 99-112.
5. محمد حسين الطبطبائي. (1416 هـ). *(الشيعة: نص الحوار مع المستشرق هنري كوربان*. جواد علي و خالد توفيق، المترجمون) دب: مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر..
6. Cheetham, T. (2003). *the World Turned Inside Out: Henry Corbin and Islamic Mysticism*. Canada: Spring Journal, Inc.
7. Corbin, H. (1991). *En Islam iranien aspects spirituels et philosophiques L'École d'Ispahan L'École shaykhie le Douzième Imâm* (Vol. II). Paris: Poche.
8. Corbin, H. (1978). *En Islam iranien, aspects spirituels et philosophiques; Sohrawardi et les Platoniciens de Perse* (Vol. Sohrawardi et les Platoniciens de Perse). France: Gallimard.
9. Corbin, H. (1968). *The Force of Traditional Philosophy in Iran Today*. (F. Clive-Ross, Ed.) *Studies in Comparative Religion*, 2 (1), 12 - 26.
10. Corbin, H. (1994). *The Man of Light in Iranian Sufism*. USA: OMEGA.
11. Corbin, H. (1998). *The voyage and the Messenger: Iran and Philosophy*. (J. Rowe, Trans.) California: North Atlantic Books Berkeley.
12. Eliade, M. (1979). Henry Corbin. *History of Religions*, 18 (4), 293-295.
13. Gagnon, C. (1992). Henry Corbin, L'Iran et la philosophie. *Horizons philosophiques*, 3 (1), 139 - 141.
14. Jahanbegloo, R. (1992). *Daryush Shayegan, sous les ciels du monde*. Le Félin.
15. Jambet, C. (1981). *Henry Corbin*. Paris: les Chaiers de Herne.
16. Morris, J. W. (2005). Religion after religions?: Henry Corbin. In A. d. Corbin", & C. J. Mohammad Ali Amir-Moezzi (Ed.), *Henry Corbin. Philosophies et sagesses des religions du Livre* (p. 32). Paris: Brepols.
17. Shayegan, D. (2011). *Henry Corbin: penseur de l'islam spiritue*. Paris: Albin Miche.

18. Steven M. Wasserstrom. (1999). *Religion after religion: Gershom Scholem, Mircea Eliade, and Henry Corbin at Eranos*. New Jersey: University Press.